

التنسيق الحضارى : دوره وموجباته

أ. سمير غريب*

حين نلتق مفردة (التنسيق) وحدها يتبادر إلى الخيال شكل الأشياء والموجودات، فهى تتعلق بالظاهر. وكلما تحققت فى مكان أو شخص، أو شئ فلا شك أن تحققها يكون سبباً من الأسباب التى تضى على هذا الشخص أو المكان أو الشئ سمة تميزه عن غيره ولو ظاهرياً.

وفى الوقت نفسه، فإن مفردة "التنسيق" يمكن أن تحيل الذهن عند النطق بها إلى من المعانى الجديدة، مثل "التناغم"، و "الانسجام" وغيرها من المعانى التى نتأكد من إيجابيتها عندما نستدعى أيضاً نواقصها المشينة، مثل "الفوضى" و "التنافر" لنجد الجمال فوراً فى مواجهة القبح يكمن فى معنى "التنسيق".

* رئيس مجلس إدارة الجهاز القومى للتنسيق الحضارى.

و"التنسيق الحضارى" على وجه خاص يسعى ويهدف الى خلق نوع من التناغم والجمال بين مشهد بصرى ظاهرى فى البيئة، وبين جوهر تراثى وحضارى متنوع وثمين. وهو الدور المهم والشاق فى ظل تحديات التنمية، وفى الوقت الذى تعاني المدن المصرية فيه من شدة التلوث البصرى والسمعى والبيئى فى بيئتها العمرانية مما أدى إلى انتشار القبح والتشوه والتعدييات الصارخة على المباني والشوارع والأرصفة و غياب القيم الجمالية والأصول والمرجعيات والتقنيات الفنية العالية بمحتوياتها المختلفة. وبهذا تحولت المشكلة الى كارثة ولذلك فكروا فى إنشاء الجهاز القومى للتنسيق الحضارى للتصدى لهذا التدهور وإزالة التشوهات الحادثة فى الشارع المصرى سواء فى القرية أو المدينة وفرض القيم الجمالية على الفراغ المصرى لأنه أصبح فراغاً مؤسفاً.

وتتميز المدن بكونها منظومة عمرانية اجتماعية اقتصادية متعددة التركيب تتكون من شق مادى متجسد فى نسيجة العمرانى من مبان وشبكات طرق ومرافق وفراغات مفتوحة وعناصر تأسيسها (hard ware) ...، والشق غير المادى المتجسد فى البشر وهم سكانها وزوارها والمسئولون جميعاً عن تحريك نبضها وبث الروح فيها (soft ware) .

وشقا المدينة المادى وغير المادى فى علاقة تنموية تبادلية مستديمة من لحظات تكوينها الأولى ...، متى توقف أو تقاعس أى ركن من أركان آلية دفع هذه العلاقة المستديمة، انعكس ذلك سلبياً على حالة وملامح الكيان العمرانى.

ويقاس مدى تحضر المدن وجمالها ورونقها بمدى اتزانها كمنظومة متشعبة العناصر والمكونات، فإن اختل التوازن وغاب النسق التنظيمى بين برائن الإهمال وعدم الاكتراث والتسيب، عمت الفوضى وانتشر القبح فى كل مكان.

وهكذا يمكن الحكم على مستوى ثقافة وتحضر أى مجتمع فى أى مكان من العالم برؤية البيئة العمرانية التى صنعها ثم احتوته...

ويأتى دور التنسيق الحضارى الركائزى فى إعادة الوجه الحضارى والقيم الجمالية الى البيئة العمرانية المصرية على مستويات المدن والقرى والمجمعات العمرانية الجديدة وصولاً إلى أرقى المستويات التى تنافس مدن العالم المتحضر وذلك من خلال التوجيهات التالية:

- إعادة عناصر البيئة العمرانية إلى أصولها ومرجعياتها بتتقيتها من جميع الشوائب والتشوهات التى تغير من شكلها أو ملامحها أو طابعها، أيضاً بتتقية الفراغات العمرانية من أسباب التدهور والتدننى المتزايد وانتشار التعدادات والتلوث بأنواعه والتى تؤدى جميعها الى غياب جمالياتها العمرانية والشكل الحضارى لها.
- تطبيق كافة الوسائل العلمية والفنية والإدارية وأيضاً التشريعية بإضافة للمساحات الواعية فى معالجة العناصر العمرانية وما تحتاجه من أجل تحسين الصورة البصرية وتجميلها وصيانتها والحفاظ عليها.
- القيام بجميع الأعمال التى تحقق الحفاظ على الطابع العمرانى والتشكيل البصرى المميز وأساليب الحفاظ عليها وعلى الفراغات والطرق العامة والميادين والشوارع والحدائق وجميع المباني ذات القيمة المميزة، فإذا نظرنا إلى مفاهيم التنسيق الحضارى فى إطار التنمية العمرانية بالمدن. فإننا نجد أن نجاحها لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تضافر جميع المستويات والجهات المعنية من مؤسسات حكومية وغير حكومية وجمعيات أهلية وأيضاً مجتمع وأفراد إيماناً ووعياً منهم بأهمية دور مؤسسى كالجهاز القومى للتنسيق الحضارى والمنشأ بالقرار الجمهورى الصادر فى عام ٢٠٠١، وأيضاً لا بد من توافر الرغبة فى التحسين والخروج من ملامح التراجع والتخلف الحضارى على البيئة العمرانية فى المدينة

فى إطار التخطيط المتكامل للتنمية المستدامة التى تدفع تنمية وزيادة الموارد المادية وغير المادية المتاحة نحو بيئة عمرانية تتميز بالرقى والتحضر .

إن إضفاء القيم الجمالية والعلمية على العمران المصرى يعد مهمة ثقيلة، وكبيرة جدا.. وأصاحكم فى البداية أن إنشاء الجهاز القومى للتنسيق الحضارى لن يحل هذه المشكلة بل يجب أن يكون الجميع على إدراك هذه الحقيقة ولكن يمكن للجهاز أن يدير وينسق جهود هذه المأساة.

يبقى ان الدولة أنشأت آلية لإدارة حل هذه المشكلة وليس لحل المشكلة نفسها والذى يحتاج إلى مشروع قومى للتنسيق الحضارى يتم فى ظل تكاتف جميع الجهود الخاصة والأهلية والقومية لوقف هذا التدهور وبناء عمران خال من التشوهات.

مبنى الجهاز القومى للتنسيق الحضارى بصفته مشروعاً من مشاريع التنسيق الحضارى يظهر بمظهر مشرف وتبدو عليه القيم الجمالية ولكن هناك من خلف المبنى تظهر أبراج حديدية تشوه شكل المبنى الخارجى، وقد يعتقد البعض أن هذه الأبراج فوق مبنى الجهاز ولكنها فى الحقيقة هى من وراء المبنى، ولكن إذا تمت عملية منتج لإزالة هذه الأبراج سيتضح أن المبنى قد تم له تنسيق حضارى وجمالى وأن هذه الأبراج نمط من أنماط التشوهات الموجودة فى العمران المصرى. ويجب أن نسأل كيف نستطيع أن نخلص العمران المصرى من هذه الزوائد والإضافات؟ وكيف نستطيع أن نحل مشكلة هذه الزوائد الموجودة لأسباب عملية.. كيف نحل هذه المشاكل لكى تتسجم مع العمران المصرى؟ هذه المشكلة موجودة فى جميع العمران فى مصر... وأبرز مثال لهذه المشكلة أجهزة التكييف والتى كالبثور على الوجوه.. وهذه المشكلة هى إحدى تحديات التنسيق الحضارى.

وكانت أولى خطوات أسس ومعايير التنسيق الحضارى التى قمت بها فى الجهاز هو أننى شكلت لجنة وسميتها "اللجنة العلمية العليا لوضع أسس ومعايير التنسيق الحضارى" برئاسة د. محمود يسرى وقرعت هذه اللجنة الى ١٢ لجنة فرعية وكل واحدة تعنى بمجال من مجالات التنسيق الحضارى. وعلى سبيل المثال: ما الأسس والمعايير التى يمكن فرضها على الأماكن الشاطئية أو مراكز المدن أو المسطحات الخضراء؟ وكانت أحدث لجنة فرعية قمت بتشكيلها ضمن اللجنة العليا هى "اللجنة الفرعية لأسس ومعايير التنسيق الحضارى" فى القرية المصرية لأن كل منطقة تختلف عن الأخرى.

أصبح المجتمع المصرى يعانى من مشاكل نفسية بسبب التشوهات والقبح فى الإعلانات واللافتات.

ونلاحظ أن كل ما نشاهده من تعليقات أو إضافات تحدث على أى مبنى يجب أن يحصل صاحبها على رخصة، ولكن منطق هذه التعليقات فى مصر هو منطق إنشائى فقط، أى دون التفكير فيما إذا كان هذا المبنى يتحمل هذه التعليقات أو لا يتحملها. ولا يتم النظر أيضاً إلى مدى التوافق القديم مع الجديد بصرياً، وكل هذه الأمور المهمة لا تعنى المهندس فى شئ وهو ما لا يحدث فى أية دولة سواء من الدول المتقدمة أو المتخلفة إلا فى مناطق مصر.

اللجان النوعية - وأولها لجنة "المناطق الدراسية والتراث" - نوع قديم وحديث، القديم ينقسم إلى نوعين، قديم ووسيط (العصور الوسطى). "لجنة مراكز المدن" و"لجنة التنسيق الحضارى البيئى"، "لجنة العشوائيات" وملقى عليها أصعب المهام التى تقوم بها. وهناك لجنة خاصة بمداخل المدن والمدن الشاطئية ولجنة من الطرق والأرصفة ولجنة للمسطحات الخضراء والأماكن المفتوحة، وتوجد لجنة لضبط الجودة للتحكم فى نوع عمل اللجان السابقة.

ومن المشاريع التى قام بها الجهاز تطوير المسار السياحى بالبر الغربى بالأقصر .

وتحت الدراسة الان مشروع تطوير شارع قصر النيل وهو يمثل وسط البلد، وقد قمت بجهود للاتفاق مع محافظ القاهرة على تنفيذ هذا المشروع ولكن المحافظ كان يقدم قدماً ويؤخر !! قدما وكنا قد اتفقنا على بروتوكول تعاون لتنفيذ هذا المشروع وقد تمت مراجعته والموافقة عليه ولكن الجهات التنفيذية المشاركة غير متعاونة فى إنجازة.

ومن جهة أخرى نحن نتكلم عن الصحراء لأن مستقبل مصر فى الصحراء، ولكن المشكلة فى إيجاد العقل المدبر والمخطط.

لقد قرأت تصريحاً للسيد وزير الإسكان فى إحدى الصحف يتكلم فيه عن مارينا وقرى الساحل الشمالى. وقال: إن سياسة الوزارة قد تغيرت تجاه هذه القرى لأنها سوف تتحول إلى مناطق سياحية فندقية.. و هذه فلسفة جديدة مغايرة تماما للفلسفات التى بنيت عليها هذه القرى التى أصبحت حائطا خرسانياً لشاطئ البحر الأبيض المتوسط أقيمت لأثرياء مصر فقط وهذه سياسة لا تتوافق مع التغيير المزمع فى فلسفة وزارة الإسكان.

كل ذلك لا يعنى أنه يجب أن يعترينا اليأس من مشقة الطريق وضخامة المشكلات أبداً فالتنسيق الحضارى يعتمد أساسا على العمل مع الناس أصحاب المصلحة الأولى، لذلك علينا أن لا نفقد الثقة فى حرص المواطن المصرى على تحقيق التنسيق والأمل فى تغير العيش معه. فالتنسيق الحضارى يعنى تحقيق النظام ويعنى الجمال. والبشر الأسوياء يميلون بطبعهم الى النظام والى الجمال.

لقد سمعت فى بعض الأحيان كلاما محبطا حين توليت رئاسة الجهاز حول صعوبة تحقيق معنى التنسيق الحضارى الذى عانيتّه. المدهش أننى لم أسمع من رجل الشارع العادى بل أسمع من متخصصين ربما لأنهم أكثر وعيا بالمشكلة التى نعيش فيها، وربما لأنهم أكثر إحساسا بوطأة غابية التشوهات والقبح التى انتشرت كالسرطان. فى عمراننا فى مصر حضر ظريف لكننا يجب أن نتفق على أن استمرار هذه المشكلة وتلك الوطأة الدهماء لن تعنى تكريس القبح كشريك حياة لكل منا فقط، بل ستعنى كارثة مستقبلية كبيرة ربما تشبه انتصار الجراد على البشر.

* * *